

نساء مسلمات
9
حفصة بنت عمر بن الخطاب
الجزء الثانى
سيدة حفظت المصحف
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

كانتْ طبيعةُ حفصةَ البشريةُ تتغلَّبُ عليها فى بعضِ الأحيانِ ، وتنسى أنها تخاطبُ رسولَ الله ﷺ ، ولذلكَ فقدْ كانتْ تحتدُّ أحيانًا ، وتعارضُ كلامَ رسولِ الله ﷺ ، كما تعارضُ أىُّ زوجة كلامَ زوجها ، وقدْ حذَّرها أبوها مرارًا من هذه الحدَّة ، لأنَّ ذلكَ كانَ يؤذى رسولَ الله ﷺ .

فذاتَ يومٍ ذكرَ الرسولُ ﷺ أصحابَهُ الذينَ بايعوهُ تحتَ الشجرة فقالَ عنهمْ :

ـ لا يدخلُ النارَ إنْ شاءَ اللهُ منْ أصحابِ الشجرةِ أحدٌ منَ الذينَ بايعُوا تحتَها . .

وفى اندفاعٍ قالتْ حفصةُ :

ـ بلَى يا رسولَ الله ! ألمْ يقلْ (تعالَى) :

﴿ وإنْ منكُمْ إلا وارِدُها كانَ علَى ربِّكَ حتمًا مقضيًا ﴾ .

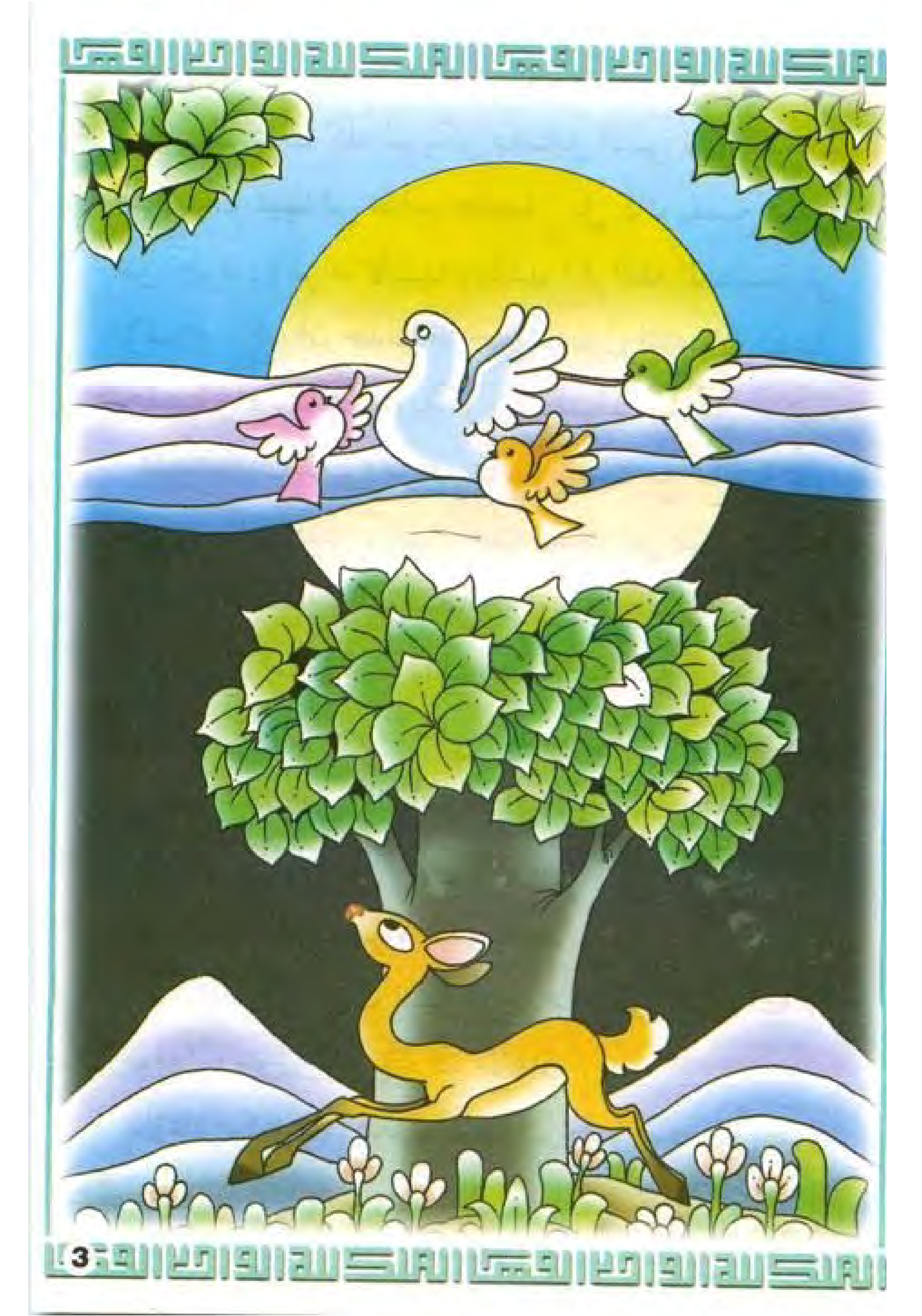
[مريم : ٧١]

فتعجَّبَ النبىُّ ﷺ منْ مراجعتها لهُ وردِّهَا عليه وقالَ ﷺ :

ـ قدْ قالَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) :

﴿ ثُمَّ نُنجِّى الَّذينَ اتَّقوْا ونَذرُ الظَّالمينَ فيهَا جثيًّا ﴾ .

[مريم : ٧٢]



عَلَى أنَّ ذلكَ كلَّهُ لمْ يكنْ يضايقُ النبيَّ ﷺ للدرجة التي يفكّرُ فيها في عتابِ حفصةَ ، بلْ كانَ يفسحُ صدرهُ عَنْ آخرهِ ، إكْرامًا لأبيها وتقديرًا لمواقفه العظيمة في الإسلامِ ، إلَى أنْ حدث ما جعلَ رسولَ الله ﷺ يَضيقُ بحفصةَ وتصرُّفاتها ، ويفكّرُ في تطليقها بشكلٍ جدّيٍّ .

فقدْ تمكنت الغيْرةُ من قلبها ، واتفقتْ مع عائشةَ على سائرِ زوجات النبيِّ ، كمَا راحتْ تشكُو من ضيق المعيشة وتطلبُ النفقةَ والتوسعَةَ منْ رسولِ الله ﷺ ، ولمْ يتحمَّلِ الرسولُ ﷺ ذلكَ فطلّقَ حفصةَ ، فجلستْ في بيتها تبكي بحرقة حتى كادتْ تهلكُ من البكاء .

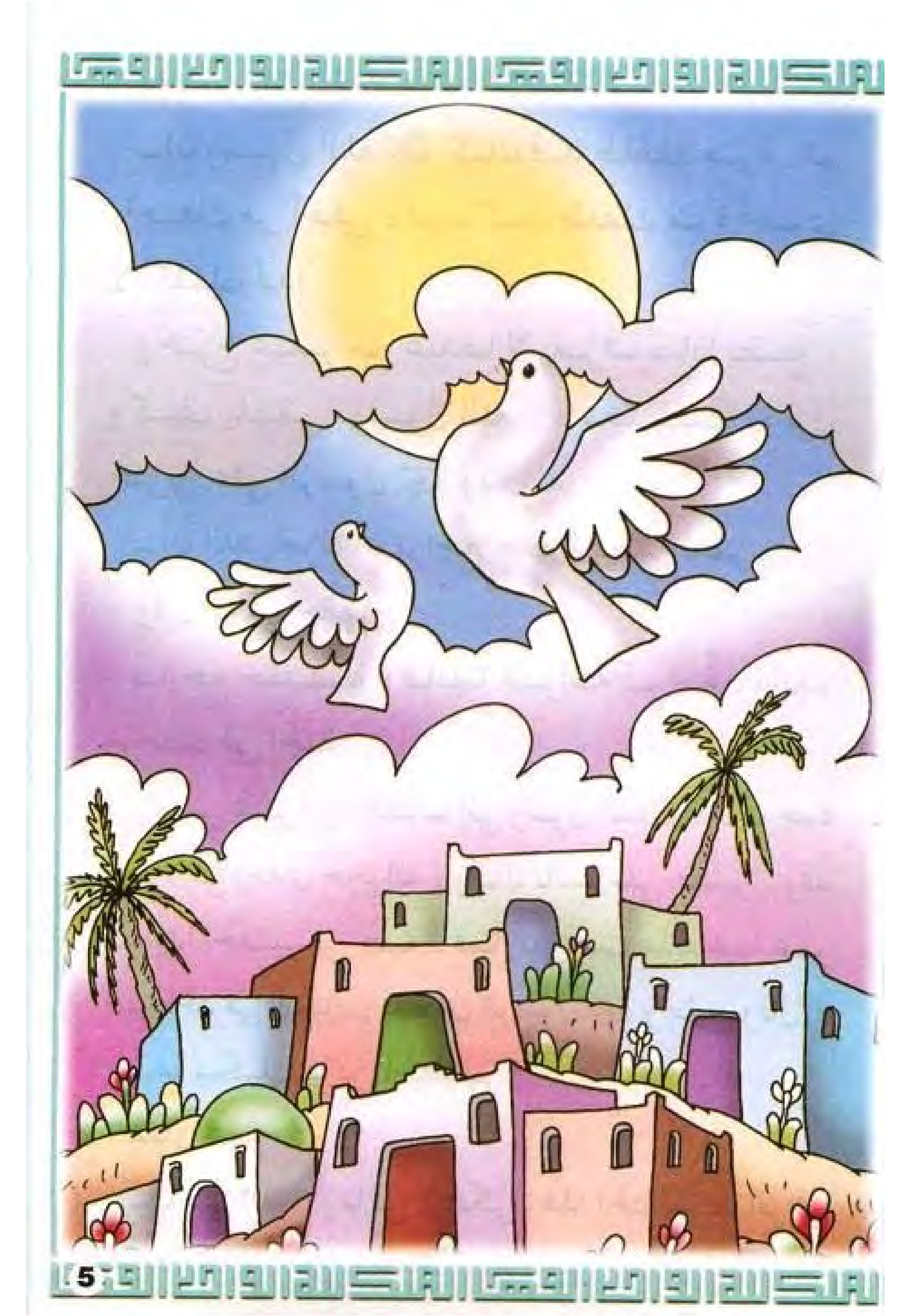
وعلِمَ عمرُ بنُ الخطاب أنَّ الرسولَ ﷺ طلَّقَ ابنتهُ فأخذَ يبْكي في ألمٍ ويقولُ :

ـ ما يعبأُ اللهُ بعمرَ وابنته بعدها .

ثمَّ انطلقَ إلى بيت ابنته فوجدَها تبكي فقالَ لها :

ـ لعلَّ رسولَ الله ﷺ قدْ طلقَك .

فازدادَ بكاؤها ، فعلمَ أبوهَا أنَّ الخبرَ صحيحٌ فقالَ في تأثُّرٍ :



ـ إنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ قد طلقكَ مرةً ، ثمَّ راجعَكَ من أجلِى ، فإنْ كانَ طلقكِ مرةً أُخرى لا أكلمُكِ أبداً .

وخرجَ عمرُ من عندها لا يعرفُ ماذا يصنعُ ، وكيفَ يلتقى برسولِ الله ﷺ بعدَ ذلك ، ونزل جبريلُ على الرسول ﷺ وقالَ له :

ـ إنَّ الله يأمركَ أنْ تراجعَ حفصةَ رحمةً لعمرَ .

وقالَ له فى حقِّها :

ـ أَرْجِعْ حفصةَ ، فإنها صوّامةٌ قوّامةٌ ، وإنها زوجتكَ فى الجنة .

ومضى عمرُ بن الخطاب إلى رسولِ الله ﷺ ، فوجدهُ معتزلاً فى إحدى حجراته ، وكانَ نائماً على حصيرٍ ، وقدْ أثَّر هذا الحصيرُ فى جنبِه ، فما إنْ وقعتْ عليه عينا عمرَ حتى أخذَ فى البكاء ، فاعتدلَ الرسولُ ﷺ وجلسَ وقالَ :

ـ ما يبكيكَ يا بنَ الخطابِ ؟

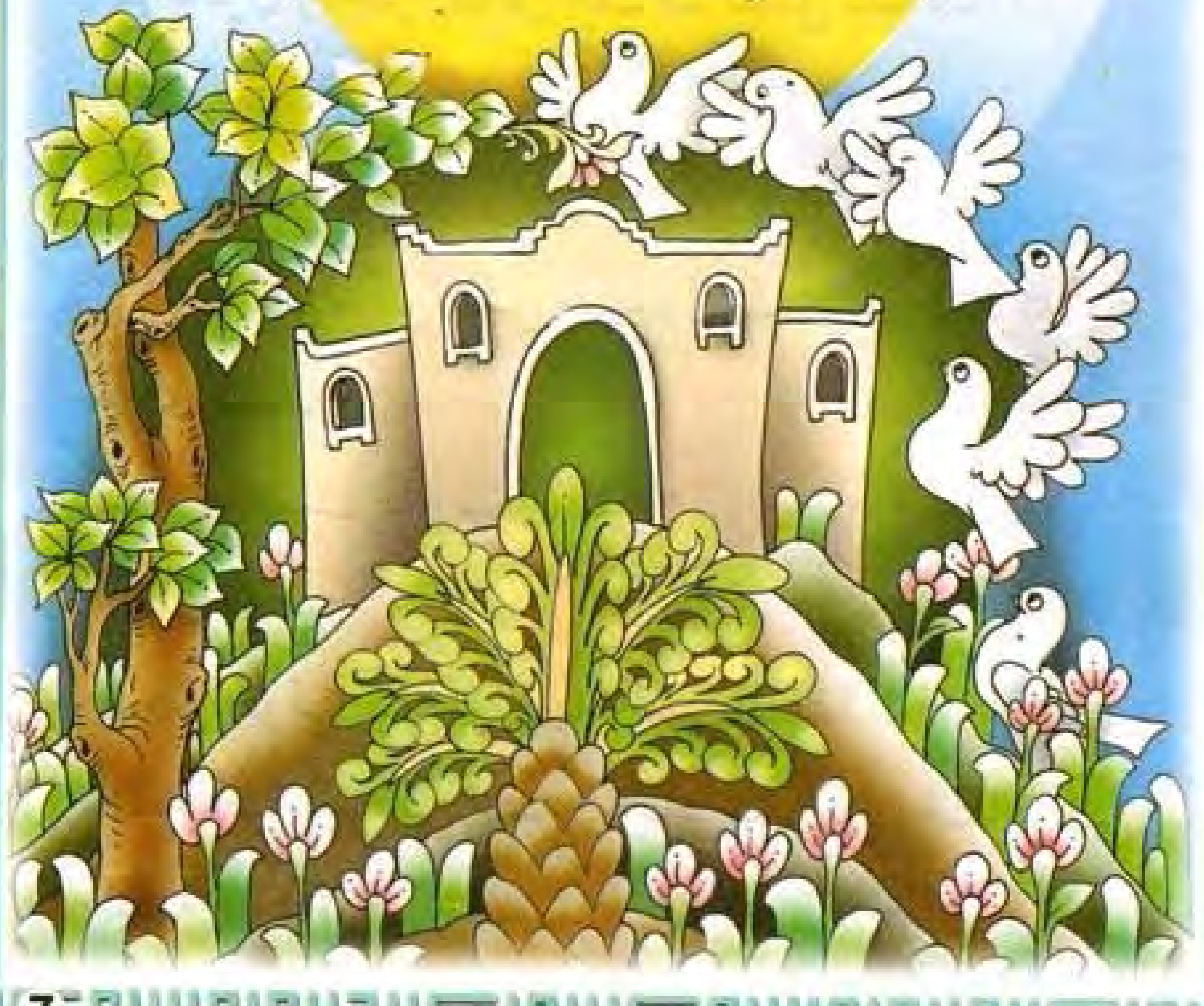
فقالَ عمرُ :

ـ يا نبىَّ اللهِ ، وما لى لا أبكِى وهذا الحصيرُ قدْ أثَّر فى

جنبكَ ، وهذه خزانتُكَ لا أَرى فيها من الطعامِ إلاَّ القليلَ ، وذلكَ قيصرُ وكسرى في الثمارِ والأنهارِ ، وأنتَ رسولُ الله ﷺ وصفوتُهُ ، وهذه خزانتُكَ !

فقالَ ﷺ :

ـ يا بْنَ الخطاب ، ألا ترضَى أنْ تكونَ لنا الآخرةُ ولهُمْ الدنيا ؟ ووجدَ عمرُ بنُ الخطابِ الظروفَ مناسبةً لكيْ يتحدثَ معَ الرسولِ ﷺ فيما جاءَ منْ أجلهِ فقالَ له :



ـ يا رسولَ الله ، ما يشقَ عليكَ منْ شأنِ النساء ، فإنْ كنتَ طلقتهنَّ فإنَّ اللهَ معكَ وملائكتَهُ وجبريلَ وميكائيلَ ، وأنَا وأبو بكرٍ والمؤمنونَ معكَ .

فأعلمَهُ الرسولُ ﷺ أنهُ لم يطلِّقْ نساءَهُ ، فقدْ أمرهُ جبريلُ بمراجعة حفصةَ إكرامًا لوالدِهَا ، وهنا تهللَ وجهُ عمرَ وقالَ :

ـ أفأنزلُ وأخبرُ الناسَ أنكَ لمْ تطلِّقْ نساءَكَ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ نعم إنْ شئتَ .

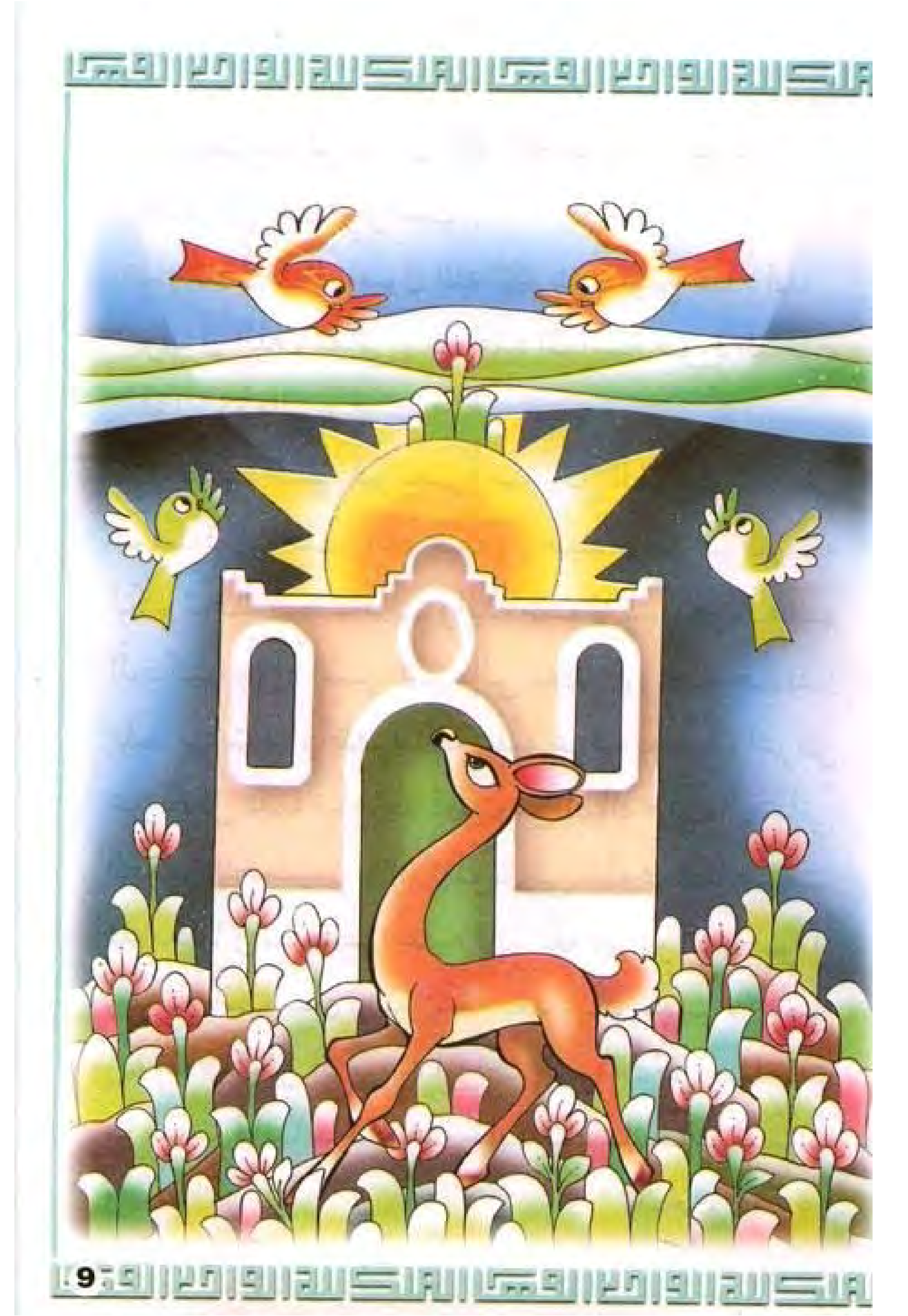
ودخلَ أبو بكرٍ على رســولِ الله ﷺ فــرأَى به ما رأَى فسألَهُ :

ـ ما يغضبُكَ يا رسولَ الله ؟

فقالَ ﷺ :

ـ هنَّ حولى كما ترَى يسألننى النفقةَ .

فقامَ أبو بكرٍ إلى ابنته ، وقامَ عمرُ بنُ الخطابِ إلى حفصةَ ، وقالا فى غضبٍ :



ـ كيفَ تسألْنَ رسولَ اللهِ ﷺ ما ليسَ عندَهُ ؟
فقلْنَ في اعتذارٍ وأسفٍ :
ـ واللهِ لانسألُ رسولَ اللهِ ﷺ شيئًا ليسَ عندَهُ أبدًا .
وأنزلَ اللهُ (تعالَى) في هذه المناسبةِ سورةَ التحريمِ فقالَ (تعالَى) :

﴿ يأيُّهَا النَّبيُّ لِمَ تُحرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغي مَرْضاةَ أَزْواجِكَ واللَّهُ غَفُورٌ رحيمٌ * قدْ فَرَضَ اللهُ لكُمْ تَحِلَّةَ أيْمانِكُمْ واللَّهُ مولاكُمْ وهُوَ الْعليمُ الْحَكيمُ * وإذْ أَسَرَّ النَّبيُّ إلَى بعضِ أزواجِهِ حديثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ به وأَظْهرهُ اللَّهُ عليْه عرَّفَ بعْضَهُ وأعرضَ عَنْ بعضٍ فَلَمَّا نبَّأَها به قالتْ من أنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِي العليمُ الْخَبيرُ * إنْ تتوبا إلَى اللَّه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وإنْ تظَاهَرا عليْه فإنَّ اللَّهَ هوَ مولاهُ وجبْريلُ وصالحُ الْمُؤْمنينَ والْملائكَةُ بعْدَ ذلكَ ظهيرٌ * عسَى ربُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ أنْ يبْدلَهُ أَزْواجًا خيرًا منكُنَّ مُسْلماتٍ مُؤْمناتٍ قَانتاتٍ تَائباتٍ عَابداتٍ سَائحاتٍ ثَيِّباتٍ وأَبْكَارًا ﴾ . [التحريم : ١ ـ ٥]

وما إن سمعت نساء النبى ﷺ هذه الآية ، حتى ندمت كل واحدة على إغضابها لرسول الله ﷺ ، واستغفرت لذنبها ، خاصة عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، فقد كانتا هما السبب المباشر فى ما حدث لرسول الله ﷺ .

ففى الحديث الشريف عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

ـ مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع هيبة له ، حتى خرج حاجا فخرجت معه ، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق ، قلت له :



- يا أميرَ المؤمنينَ ، منِ اللتان تظاهرتَا على النبيِّ ﷺ من أزواجه ؟

فقالَ عُمرُ :

- عجبًا لكَ يا بنَ عباسٍ ، هما عائشةُ وحفصةُ !

ووعتْ نساءُ النبيِّ ﷺ الدرسَ ، ووعتْهُ حفصةُ جيدًا ، وعلمتْ أنَّ طاعةَ زوجِها وإرضاءَهُ من أهمِّ واجباتِها نحوَ زوجِها ، وأنَّ اللهَ (تعالَى) فرضَ على المسلمينَ جميعًا طاعةَ اللهِ ورسوله ، ولذلكَ فقدْ حرصتْ حفصةُ رضى اللهُ عنها علَى إرضاءِ زوجِها ﷺ ، وانتصرتْ حفصةُ على طبيعتِها البشرية ، فتخلَّتْ عنِ الْغَيْرةِ والاعتراضِ علَى رسولِ اللهِ ﷺ ، وأصبحتْ نعْمَ الزوجةُ ، تسعَى لإرضاءِ زوجِها مهما كانت التضحياتُ ، حتى رضى عنها الرسولُ ﷺ ، وماتَ وهو عنها راضٍ .

ولعلَّ فيما حدثَ بينَ النبيِّ ﷺ وبينَ زوجاته منَ الغَيْرةِ والعظةِ ما يفيدُ المرأةَ المسلمةَ فى حياتِها الزوجية ، فلا تخلُو الحياةُ الزوجيةُ منْ بعضِ المشاكلِ ، ولوْ كانت

البـيـوتُ تخلُو منْ هـذه المشـاكلِ ، لكانَ بيتُ النبيِّ ﷺ أوْلى هذه البـيـوت بذلكَ على الإطلاق ، ولذلكَ فإنَّ مراجعةَ النفسِ والصَّـبر والحكمةَ أهمُّ ما نستعينُ به فى الخروجِ من هذه المشاكلِ الطارئة .

وبعدَ وفاةِ الرسولِ ﷺ ، قامتْ حفصةُ رضى اللهُ عنها بأعظمِ عملٍ فى تاريخِ الإسلامِ ، حيثُ وقعَ اختيارُ الخليفة أبى بكرٍ الصديقِ عليْها لكى يحفظَ لديْها النسخةَ المكتوبة

من القرآن الكريم ، وفى هذا دليل على ثقته بها وتقديره لمكانتها ، كما أنه يشير إلى اهتمامها بالقرآن وحفظه ، وكان السبب الذى دعا أبا بكر لجمع القرآن الكريم فى كتاب واحد خوفه على القرآن من الضياع أو النسيان ، وكان عمر بن الخطاب هو الذى أشار عليه بذلك .

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أيام النبى ﷺ يحفظون القرآن فى صدورهم ، فلما توفى الرسول ﷺ ، خشى عمر بن الخطاب على القرآن من الضياع ، وخاصة بعد أن مات عدد كبير من حفظة القرآن ، فأشار على خليفة المسلمين أبى بكر بجمع القرآن فى كتاب واحد ، واستجاب أبو بكر فجمع عددا من الصحابة وكلفهم بكتابة القرآن وجمعه ، فقاموا بالمهمة على أكمل وجه .

وبحث أبو بكر عن إنسان أمين يمكن أن يأتمنه على كتاب الله ، فلم يجد غير حفصة رضى الله عنها ، فأودع لديها المصحف ، وبقى المصحف لديها فى مأمن ، حتى جاء زمن عثمان بن عفان فأخذ هذه النسخة ، ونسخ منها نسخا أخرى ووزعها على الأقطار الإسلامية المختلفة ،

حتى يَجْمعَ الناسَ على قراءتِها ، وكانَ رأْيًا حكيمًا ، حفظَ اللهُ به الوحدةَ بينَ المسلمين .

ولا شكَّ أنَّ المسلمين مدينونَ بالفضْلِ في جمعِ القرآنِ وحفْظِه لعظماءِ الصحابةِ ، ومنْ بينهمْ حفصةُ رضى اللهُ عنها التى حفظتِ المصحفَ .

وبقيتْ حفصةُ رضى اللهُ عنها زمنًا طويلاً ، وفى هذا الزمنِ اجتاحتِ الإسلامَ الفتنُ ، بسببِ جهلِ كثيرٍ من الناسِ وحرصِهمْ على الدنيا ، وعندئذٍ اعتزلتْ حفصةُ الناسَ وتفرغتْ فى منزلِها للعبادةِ ، ورفضتْ أنْ تنحازَ



لفئة على حساب أُخْرى ، ولذلكَ فقدْ ظلتْ بعيدةً عنِ الفتنة بقلبها وبنفسها .

وعاشتْ حفصةُ رضى اللهُ عنها صوَّامةً قوَّامةً إلى أنْ لقيتْ ربَّها راضيةً فى العام السابعِ والأربعينَ للهجرة .

وقدْ خلَّدَ التاريخُ ذكْرَها وصنيعَها العظيمَ ، حيثُ حفظتْ أولَ نسخةٍ مكتوبةٍ من المصحفِ الشريفِ ، وكانتْ حريصةً على هذه الوديعة الغالية .

وهكذا كانتْ حفصةُ رضى اللهُ عنها مثالاً للمؤمنة الصادقةَ والزوجة الصالحة ، فعلينا أنْ نقتدىَ بها وننتفعَ بسيرتَها العطرة وأنْ نتعلمَ منها دروساً تفيدُنا فى حياتنا وبعد مماتنا .

رحمَ اللهُ حفصةَ أمَّ المؤمنينَ رضى اللهُ عنها الصوَّامةَ القوَّامةَ التى حفظت المصحف ونفعنا بسيرتها ، ونفعَ بناتنا وأَخواتنا وأمَّهاتنا بسيرتها العطرةَ ، وآخرُ دعوانا أنَ الحمدُ لله ربِّ العالمين ..

(تمَّتْ)

الكتاب القادم

حفصة بنت خزيمة (أم المساكين)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٣٦٤٢
الترقيم الدولى : ٤ ـ ٥٧٩ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧